

## مفهوم ومنهج الإقتصاد الإسلامي

الاستاذ مناع خليل القطان

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله :  
تنبثق ألوان النشاط الإنساني في مجالات الحياة المختلفة في أي مجتمع من المجتمعات من التصور الاعتقادي لهذا المجتمع ، فالعقيدة التي تدين بها أمة ما دينية أو غير دينية .  
هي التي توجه نشاط الأمة الاجتماعي أو الإقتصادي ، أو السياسي ، أو السلوكي ، بناء على التصور الاعتقادي ، ونظرته الى الكون والإنسان والحياة . وبهذا تفاوتت أوضاع الحياة الاجتماعية والإقتصادية والسياسية بتفاوت الأمم في معتقداتها .

### مفهوم الإقتصاد الإسلامي :

ومفهوم الإقتصاد الإسلامي الذي ينبثق من العقيدة الإسلامية يركز على الأمور الآتية :

#### ١ — الملكية الأصلية والملكية العارضة :

توجب العقيدة الإسلامية الإيمان بأن الله هو الذي خلق الكون بما فيه من كائنات هذا الخلق البديع العجيب ، وقدره ذرة ذرة . وهو وحده الذي يدبر أمره ، ويصرف شئونه ، لا يخرج شيء منه عن إرادته وتقديره . وآيات الخلق في القرآن — وما أكثرها — تدل دلالة قاطعة على ذلك .

﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ (١) .

﴿ الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك

وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ (٢) .

---

\* مدير المعهد العالي للقضاء .

(١) ٤٩ من سورة القمر .

(٢) ٢ من سورة الفرقان .

وقد أودع الله في هذه الكائنات قوى وطاقات ، سخرها للإنسان ، ودعاه إلى البحث فيها والاستفادة منها ، وإستثمارها وتنميتها ، وأباح له الإستمتاع بما فيها من طبيات ، والإستعانة بها في عمارة الأرض .

ولكنه يستشعر أنه لا يؤتى شيئاً من ذلك على علم عنده . إنما هو فضل الله عليه ، الذي أكرمه على سائر خلقه ، ومنحه قوة التفكير والنظر ، وهده إلى طرائق الكسب والعمل . ووفقه الى ما أوتي من نعمة ، وهو يؤمن بأن ما تحت يده ما هو إلا عطاء الله ورزقه ، وملكيته العارية المستردة ، أما الملك الحقيقي الأصيل ، فإنه لله الذي خلقه ، وخلق الكون الذي نعيش فيه ، ويستثمر طاقاته ، قال تعالى : ﴿ وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ (١) فأضيف المال إلى الله إضافة تملك حقيقي لأنه منه ، وهو رازقه . وأسند الإيتاء الى المخاطبين لأنهم أهل التصرف .

## ٢ — الإستخلاف :

إذا كان الكون لله ، وكانت الملكية الحققة له ، وكانت ملكية الناس عارية ، فإن الإسلام يقرر إزاء هذا نظرية الإستخلاف . فالإنسان هو الذي يمارس التصرف في كائنات الله ، غداً ورواحاً ، واستثماراً وكسباً ، وقد استخلفه الله على ذلك ليتصرف فيه تصرف المستخلف . فليس المال سيداً له . وليس هو بسيد للمال ، والسيد الله سبحانه وتعالى ، والخلائق كلها تدين بالعبودية لله الخالق .

وتحقيق معنى العبودية في الإستخلاف يقتضي أن يكون تصرف الإنسان فيما استخلف فيه وفق دين الله ، فإن غاية الإنسان في الحياة العبادة التي ذكرها الله تعالى في قوله : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (٢) والعبادة التي تحقق معنى العبودية لله ، تعني إنقياد الناس لمنهج الله ، في كل أمرٍ من أمور الحياة . وليست العبادة قاصرة على الشق الفقهي المعروف بالعبادات :

( الصلاة والزكاة والصوم والحج ) دون الشق الآخر المعروف بالمعاملات . فإن هذا التقسيم اصطلاح فني في التأليف لم يكن معروفاً في حياة رسول الله ﷺ ، ولا في حياة صحابته . إنما اصطلاح عليه أئمة الفقه الإسلامي فيما بعد ، للمقتضيات الفنية للتأليف .

(١) من سورة النور . أنظر تفسير أبي السعود ط صبيح بمصر الجزء الرابع صفحة ٥٧ .

(٢) من سورة الذاريات .

التي تستدعي تقسيم الكتاب إلى أبواب . وتقسيم الأبواب إلى فصول . فقالوا في الفقه :  
العبادات ، والمعاملات ، ولا تنفصل المعاملات عن العبادات ، فإن القيام على  
المعاملات في الإسلام لابد وأن يكون وفق دين الله ، حتى يكون التصرف تصرفاً  
إسلامياً ، فيكون المسلم متعبداً لله ، في مطعمه ، ومشربه ، وملسبه . وفي تجارته ،  
وزراعته وصناعته ، في كسبه ، واستثماره ... الخ <sup>(١)</sup>

وعرف شيخ الإسلام ابن تيمية العبادة بقوله : « هي إسم جامع لكل ما يحبه الله  
ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة » <sup>(٢)</sup> . وبين في موضع آخر أن كل ما أمر الله  
عباده من الأسباب فهو عبادة . وتفسير الفقهاء ، الأحكام الشرعية العملية إلى عبادات  
ومعاملات يراد به التفريق بين نوعين من الأحكام أحدهما : الأحكام التي ينشئها الشارع  
ابتداءً ليتقرب عباده إليه بأدائها ، وهي التي سموها بالعبادات ، والأصل فيها التعبد دون  
الإلتفات إلى المعالي والمقاصد . وثانيهما : الأحكام التي تنظم علاقات الناس بعضهم  
ببعض في حياتهم ومعاشيتهم ومعاضاتهم ، وهي التي سموها بالمعاملات ، والأصل فيها  
الإلتفات إلى ما وراءها من المعالي والمقاصد ، وهذه تلك هي الدين الذي أمرنا الله تعالى  
بإتباعه ، وامثال أمر الله فيه بنية صالحة عبادة .

إن الإنسان في هذه الأرض مستخلف على ما فيها ، وعلى ما سخره الله له في  
دنياه ، ليس له حرية التصرف برأيه . أو بما يمليه عليه هواه ، ومنذ بدء الخليقة في نواتها  
الأولى أذن الله ملائكته بذلك ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي  
الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وواقع الحياة شاهدٌ على هذا ، فإن كل جيل من أجيال البشرية ، يستثمر جهده في  
الإنتاج ، ويحني ثمره ذلك . لا يعمر فيه إلى الأبد . ولكنه يأخذ نصيبه منه في حياته ، ثم  
يدعه ، ويخلفه للجيل اللاحق ، وهكذا دواليك ، فهي أمانة استخلف الله عليها  
عباده ، وكل إنسان وكل جيل يخلف من سبقه في حملها يقول تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي  
جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۖ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

(١) أنظر : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته « للشهيد سيد قطب ط الحلي بمصر — صفحة ١٢٩ وما  
بعدها .

(٢) أنظر رسالة « العبودية » لابن تيمية ص ٣٨ ط المكتب الإسلامي .

(٣) ٣٠ من سورة البقرة .

(٤) ١٦٥ من سورة الأنعام وأنظر كتب التفسير .

وحرية الإنسان في هذا الإستخلاف تكون بأعمال فكره ونظره لتطوير أساليب الإستثمار . ووجوه الإنتفاع وطرائق الكسب في إطار ما شرع الله . وليست له حرية التصرف المطلق ، وهذا هو الذي يكسب الحياة رسوخاً وثباتاً ويحقق راحة النفس والضمير للفرد ، وحياة الإستقرار في الأمة .

والحياة بكل ألوان نشاطها ، في الإقتصاد وفي غيره ، قائمة على التلقي عن مبدع هذا الكون ومالك أمره . الذي لا يضل ولا ينسى . لتكون حياة الناس على بصيرة ، يقول تعالى في خطابه لنبيه : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور ﴾ (١) .

ويستجيش الإسلام بنظرية الإستخلاف عاطفة المؤمن . وهو يملك بيده المال . حتى لا يكون المال إلهاً له . ولا يكون بهذا المال إلها . فيقول تعالى : ﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ (٢) .

### ٣ — ميراث الصالحين :

الملكية الحق لله . والناس مستخلفون في هذه الحياة . وأحق الناس بهذه الخلافة المؤمنون الصالحون . أنه لا يتحقق التناقص بين الكائنات كلها . حتى ينخرط كل كائن منها في الناموس الذي هيأه الله له ، ليتم الإنسجام بين وحدات الكون في السماء والأرض ، فلا يشذ منها كائن ، ولا يتخلف عن أداء وظيفته الإلهية مخلوق . وقد خضع الكون لله تعالى تسخييراً — إذا استثنينا جانب الإنسان في تصرفاته الإختيارية — حيث لا إختيار لشيء منها ، فتحقق فيها معنى العبودية الخالصة لله .

فالسماء بما فيها من كواكب . والظواهر التي تكتنفها من رياح وسحب وأمطار ، وحرارة وبرودة . يتحرك كلُّ منها في فلكه ، ويدور في مداره . ويخضع لسنن الله الكونية . فهي تعلن عن عبوديتها للخالق المدبر .

والهواء وما فيه من مواد . وما ركب عليه من خصائص . ونسب عناصره في

(١) ٥٢ ٥٣ من سورة الشورى .

(٢) ٧ من سورة الحديد .

الغلاف الأرضي قريباً وبعداً يخضع لسنن الله الكونية ، فهو يعلن عن عبوديته للخالق المدبّر .

والإنسان في أفعاله الاضطرارية التي لا اختيار فيها ، كحركة الجهاز الهضمي ، والدورة الدموية يسير على سنّة الله الخكمة التي لا تتخلف كذلك ، فينسجم مع الكائنات الخاضعة لله تسخيراً .

بقيت أفعال الإنسان الاختيارية التي له فيها إرادة وكسب ، فهذه الأفعال لم يتركها الله سدى له فيها إرادة شرعية . بعث بها رسله . وعبرت جسر الحياة في موكب النبوات . حتى انتهت بكاملها في الدين . الذي ختم الله به الأديان السماوية ، وأكرمنا بالإنتساب إليه .

فإذا أذعن الإنسان لدين الله ، والتزم في حياته شرع الله ، كان التناسق في حياته الفردية وكان التناسق بينه وبين سائر كائنات الله ، ويتم بهذا التحقيق كمال عبودية الكون لله تسخيراً وشرعاً .

وما كان للكائنات المسخرة أن تنمرد على الله ، ولكن الإنسان وحده في أفعاله الاختيارية هو الذي تمرد وخرج على شرع الله ، واتبع هواه ، واغتربرأيه ، فأدى خروجه عن الطاعة ، واستعباد الأهواء له ، تأليه لذاته . وأدى هذا الى الخلل والاضطراب . وتخطب هذا الإنسان في متهات لا قبل له بها . باسم التجديد والتطور وحرية الفكر وصدق الله اذ يقول : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ﴾ (١) .

ومشكلات الحياة الاقتصادية المعاصرة رمز لهذا التخطب . عندما أخطأ الإنسان الطريق ، وانسلخ من معنى العبودية .

لذا كان أحق الناس بميراث الأرض وميراث الحياة ، أولئك الذين يؤمنون بأن الملكية الحق لله ، وأنهم مستخلفون على ما آتاهم الله فيصلحون بالدين الذي هداهم الله إليه ويصلح الله بهم هذا الكون . فهم جديرون بالوراثة الحققة لصلاح الدنيا والآخرة ، وإن غلبهم غيرهم في دنياهم ، فلتنكبهم الطريق . وإعراضهم عن شرع الله ، ﴿ ولقد

---

(١) ٧١ من سورة المؤمنون .

كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الارض يرثها عبادي الصالحون ﴿١﴾ .

### منهج الاقتصاد الإسلامي :

وانطلاقاً من مفهوم الاقتصاد الإسلامي الآنف الذكر ، يقرّر الإسلام في منهجه الاقتصادي المبادئ الآتية :

#### ١ — مراعاة الغريزة والفطرة في الملكية الخاصة والملكية العامة :

الإسلام دين الفطرة ، فهو يرمى الغرائز وينميها تنمية متكاملة تشبع رغباتها في توازن دون أن يطفئ جانب منها على آخر .

فغريزة حب التملك من الغرائز الأصلية في النفس البشرية ، يقرر هذا علماء النفس ، ويشهد له الواقع ، فالطفل منذ نعومة أظافره يعيش مع أبويه وإخوته ولكنه يجد من داخل نفسه شعوراً يدعوه إلى أن يمتلك شيئاً يختص به دون أفراد الأسرة مع حبه لهم . وحبهم له . وهذه الغريزة ينميها الإسلام بالحث على الكسب وإباحة الملكية الفردية من وسائلها المشروعة .

ولكن الإسلام يرمى بجانب حب التملك ، الشعور الإجتماعي الفطري في الإنسان ، حيث يشعر كل فرد بأنه عضو في أسرته . وأن أسرته عضو في الأسرة الإجتماعية الكبيرة ، أي في المجتمع الذي يعيش فيه ، ولا يستطيع الإنسان أن يعيش وحده . فهو مدني بالطبع . ولذا يضع الإسلام بازاء الملكية الخاصة للفرد حقوقاً إجتماعية . أو ملكية جماعية ، للمصالح العامة .

والإسلام بهذا يختلف عن الرأسمالية والإشتراكية اختلافاً بيناً .

فالرأسمالية تؤمن بالملكية الخاصة وتجعلها قاعدة عامة لإقتصادها وتسمح للأفراد بهذه الملكية في مختلف أنواع الثروة ، تبعاً لنشاطهم ، وظروف حياتهم ، ووسائل كسبهم ، ولا تعترف بالملكية العامة إلا حين تدعو إلى ذلك الضرورة الإجتماعية الملحة ، التي تفرض ملكية مرفق أو أكثر ملكية عامة للأمة ، مراعاة لمصلحتها .

والإشتراكية على النقيض من ذلك . فإن الملكية الإشتراكية فيها هي المبدأ العام الذي تقوم عليه قاعدة الإقتصاد الإشتراكي ، فتجعل أنواع الثروة ووسائل الإنتاج ملكاً

للدولة ولا تخرج عن هذا الأصل إلا لضرورة إجتماعية قاهرة ، في حدود ضيقة (١).

وإذا كان الإسلام يبيع الملكية الخاصة . والملكية العامة ، وملكية الدولة . فهذا لا يعنى أنه مزيج من الرأسمالية والإشتراكية لأنه لا يتخذ الملكية الخاصة قاعدةً عامةً له كالرأسمالية وإن أباحها . كما لا يتخذ الملكية العامة ، أو ملكية الدولة قاعدةً له كالإشتراك ، وإن سمح بها عند الحاجة ، لأن هذا وذاك في الإسلام إنما يتم في إطار خاص من الأسس والقواعد والقيم والمفاهيم ، التي تناقض الأسس والقواعد والقيم والمفاهيم التي قامت عليها الرأسمالية الحرة والإشتراكية الماركسية على السواء .

وفي القرآن الكريم إضافة الأموال الى اصحابها الذين يملكونها ملكية خاصة في كثير من الآيات كقوله تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها ﴾ (٢) . وقوله : ﴿ إنّما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ (٣) وفي الحديث : « لا يحل مال إمريء مسلم إلا عن طيب نفس منه » (٤) . وشرع الإسلام حفظاً لحق الملكية الخاصة حد السرقة . ورتب عليه ما رتبته من حقوق ونفقات .

وفي القرآن الكريم كذلك إعتبار الحق المشترك في أموال الأفراد . فيحجر على السفهه أن يتصرف في ماله الخاص . لما في ذلك من إهدار لحق الأمة . وضياح لثروتها . وذهاباً بقوام حياتها . يقول تعالى : ﴿ ولا تَوَدُّوا السفهه أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وأرزقهم فيها وأكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً ﴾ (٥) . فأضاف الله أموال السفهه الخاصة إلى المخاطبين مراعاةً للحق العام فيها .

## ٢ — الحرية الإقتصادية المحدودة بنطاق الحلال والحرام والقيم الأخلاقية :

حين يستنفر الإسلام غريزة حب التملك لتكون حافزاً قوياً على العمل ، فإنه لا

---

(١) أنظر هذا البحث بتوسع في : إقتصادنا ، للأستاذ محمد باقر الصدر في موضوع « إقتصادنا في معالمه الرئيسية » ص ٢٥٥ - ٣٦٥ .

(٢) ٣٠٣ من سورة التوبة .

(٣) ١٥ من سورة التغابن .

(٤) رواه أبو داود .

(٥) ٥ من سورة النساء وأنظر تفسير الآية في دار الكشاف ، للزمخشري ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر صفحة ٣٦٣

الجزء الأول . وتفسير أبي السعود صفحة ٣١٦ الجزء الأول ، وأحكام القرآن « لابن العربي » طبعة الحلبي

بمصر صفحة ٣١٩ الجزء الأول ، وأحكام القرآن للجصاص طبعة عبد الرحمن محمد ص ٧١ الجزء الثاني .

يعطي لهذه الغريزة حريتها المطلقة ، وإنما يقيدها بالحلال والحرام والقيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام .

ودائرة الحلال في الاقتصاد الإسلامي هي الدائرة الأوسع والأرحب ، فالأصل في الأمور الإباحة ، أما دائرة الحرام فهي الدائرة الضيقة ، ولذا لم ينص الإسلام على نوع كل كسب مشروع ، إنما نص على المحرم منه ، وحصره في أمور بينها الكتاب والسنة وجاء هذا التحريم دفعا لضرر أو درءاً لظلم ، أو وقاية من مفسدة ، أو حماية من مضرة .

ومنهج الاقتصاد الإسلامي في هذا يختلف عن منهج الاقتصاد الرأسمالي ، ومنهج الاقتصاد الاشتراكي ، فالإقتصاد الرأسمالي يعطي للأفراد حرية غير محدودة ، والإقتصاد الاشتراكي يصادر حريات الجميع .

أما الاقتصاد الإسلامي فإنه يسمح للأفراد بممارسة حرياتهم في إطار القيم والمثل التي تهذب الحرية وتصلقها ، وتجعل منها أداة خير للإنسانية كلها .  
وقد سلك الإسلام في سبيل تحقيق ذلك مسلكين : —

**المسلك الأول :** أن الحرية الشخصية في النشاط الإقتصادي مقيدة بما نصت عليه الشريعة الإسلامية ، فيحظر على كل فرد أن يمارس أي لون من ألوان النشاط التي تتعارض مع أهداف الإسلام ، ومثله الأخلاقية ، وقيمه الروحية . ولذا ورد النهي عن مجموعة من ألوان هذا النشاط كالربا ، والاحتكار ، والغش ، والغبن ، وكل عقد فيه غرر .

ومن ناحية أخرى أعطت الشريعة الإسلامية لولي الأمر حق التدخل لحماية المصالح العامة وحراستها بالحد من حريات الأفراد فيما يمارسونه من نشاط اقتصادي ، تحقيقاً لمثل الإسلام ومفاهيمه في العدالة الاجتماعية ، وللسلطة الإسلامية العليا حق الطاعة في ذلك ما دام في نطاق الشريعة ، لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ . (١) وقاعدة الاسلام في هذا « لا ضرر ولا ضرر (٢) »

**والمسلك الثاني :** الذي سلكه الإسلام للحد من حرية النشاط الإقتصادي المطلقة ينبع من أعماق النفس المؤمنة ، في ظل المثل الإسلامية التي يترى عليها المسلم في مجتمع

(١) من سورة النساء .

(٢) رواه أحمد .



يحتكم إلى الإسلام في مرافق حياته كلها ، فهذه التربية ، تجعل المسلم رقيق المشاعر ، مرهف الحس ، يؤثر مصلحة إخوانه على مصلحته ، فيتوقف عن كل تصرف يعود بالنفع الذاتي عليه ، ويضر بالآخرين .

إن هذا الإنسان في ظل الحياة الإسلامية الصحيحة ينشأ نشأً آخر يوجه حريته توجيهاً مهذباً صالحاً دون أن يشعر بأنه سلب شيئاً منها ، لأن الإسلام قد احتواه فأصبح لا يشعر بحريته إلا في ظل رسالته .

وقد أتت التجربة الإسلامية في هذا ثمارها الطيبة في صدر الإسلام . فخرج كثير من أبناء هذه الأمة عن ماله ابتغاء مرضاة الله . وفجرت تلك التجربة في النفس البشرية إمكاناتها المثالية العالية ومنحتها رصيداً روحياً زاخراً بمشاعر العدل والخير والبر والإحسان ، وبرهنت على كفاية الإنسانية وجدارتها بخلافة الأرض ، واستأصلت من النفس البشرية عناصر الشر والأنانية وحب الذات ، ودوافع الظلم والفساد .

وإذا كان هذا يتعارض في ظاهره مع الدافع الذاتي للإنسان الذي يؤثر بطبيعة المصلحة الفردية على المصلحة الجماعية ، فإن الإسلام يوفق بين الدوافع الذاتية والمصالح الإجتماعية العامة ، حيث يعوض المسلم عن التضحية بمتعته ولذاته ومصلحته الذاتية بما يرجوه عند الله من نعم دائم ، ومضاعفة للأجر فيكون مفهوم الربح والخسارة عنده في مقياس الإيمان أرفع من مفاهيمها التجارية المادية . يقول تعالى ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبئت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ (١) .

### ٣ — التوازن والتكافل :

من الحقائق التي لا مرء فيها أن أفراد النوع البشري يتفاوتون في الصفات الجسدية والنفسية والفكرية ، فهم يختلفون في قوة الجسم وصلابة العود ، ويختلفون في قوة العزيمة والقدرة على الصبر والشجاعة . ويختلفون في حدة الذكاء وسرعة البديهة ، إلى غير ذلك من مقومات الشخصية الإنسانية .

وقد اعتبر الإسلام العمل أساساً للملكية ، وما عداه فإن ملكيته تأتي تبعاً في

(١) ٢٦١ من سورة البقرة ، وأنظر « الفصل السابع » الإسلام يوحد المهدف بين الفرد والمجتمع - من كتاب : الإقتصاد الإسلامي مذهباً ونظاماً دراسة مقارنة ، للدكتور إبراهيم الطحاوي صفحة ١٣٣ الجزء الأول .

حالات خاصة ، كالإرث ، والوصية ، والهبة ، والفيء ، والغنيمة ، ونحو ذلك .

وما دام الناس يتفاوتون في مواهبهم وإمكاناتهم . وخصائصهم الجسدية والروحية والفكرية ، وما دام الإسلام قد اعتبر العمل أساساً للملكية ، فإن هذا وذاك يسمح بظهور التفاوت بين الأفراد في الثروة . وهذه الحقيقة يعترف بها الإسلام ويقررها ، ولكنه يسعى لتحقيق نوع من التوازن الإجتماعي ، يتيح لكل فرد في المجتمع مستوى لائق من المعيشة ، يتقارب فيه الأفراد في مستوى معيشتهم ، وإن تفاوت الدخل بينهم . وهذا يمنع التناقضات الصارخة بين مستويات المعيشة في المجتمع الرأسمالي ، ويقرر واقعاً بعيداً عن الأماني التي يحلم بها المجتمع الاشتراكي في المساواة بين الناس من كل وجه .

وتحقيقاً لهذا المبدأ في منهج الإقتصاد الإسلامي شرع الإسلام أموراً كثيرة : شرع الإرث تفتيتاً للثروة . وشرع الزكاة حقاً معلوماً للسائل والمحروم . وأوجب على ولي الأمر أن يسعى لسد حاجات المعوزين . وأن يفرض لهم من بيت المال ما يموّنهم ونهى عن الإسراف والبدخ والترف ، كي يتقارب مستوى المعيشة بين أفراد الأمة . ويتحقق التوازن الإجتماعي .

وشرع الإسلام أنماطاً متعددة للتكافل الإجتماعي . بدأت في بناء المجتمع الإسلامي الأول بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، تلك المؤاخاة التي بلغت درجة الإيثار . فكان الأنصاري يؤثر أخاه المهاجري على نفسه .

والإسلام لا يعتمد في تحقيق التكافل الإجتماعي على الأوامر الصارمة الملزمة . إنما يستجيش نفس المؤمن ، ليوقظ فيها الدوافع الإيمانية ، التي تحمل المسلم على أن يجود بما لديه من مال ، ليكفكف عبرات المنكوبين ، ويضمط جراح البائسين ، فيصل الغني الفقير ، وتمتد يده إليه في إخاء ورحمة . تستل بواعث الحقد الطبق ، وتحول دون انتزاع المال بالقوة . « من كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له ، ومن كان له فضل ظهر فليعد به على من ظهر له » (١)

وفي ظل التعاون على البر والتقوى ، وبروح التكافل الإجتماعي . تنظم الأمة الإسلامية شؤونها بما يكفل تعويض المصابين وتخفيف الوطأة عن المقهورين . (٢)

(١) رواه مسلم .

(٢) — أنظر بالتفصيل « مسئولية الدولة في الإقتصاد الإسلامي » من صفحة ٦١٣ إلى صفحة ٦٤٤ من كتاب

إقتصادنا للأستاذ محمد باقر الصدر .

وبعد : —

فإن مهمة المسلمين إزاء ما يجدون من مشكلات . أن يطوعوا الحياة للإسلام لا أن يطوعوا الإسلام لمشكلات الحياة . والاقتصاد الإسلامي س يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة الإسلامية . ومفاهيم الإسلام عن الكون والحياة والإنسان . وهو جزء من الإسلام الذي ينظم شتى نواحي الحياة في المجتمع . فلا يجوز لنا أن نفصل الاقتصاد الإسلامي عن جوانب الإسلام الأخرى . ولا تستطيع الأمة الإسلامية أن تحقق أسباب السعادة والرفاه إلا إذا أخذت الإسلام كلاً لا يتجزأ . واحتكمت إليه في مختلف شعب الحياة ، ولا ننتظر أن يحقق علاج شعبه منها أهداف الإسلام حتى نعالجها جميعاً ، ويوم أن يطبق الإسلام في بيئة إسلامية تصوغ حياتها على أساس الإسلام ، عقيدة وعبادة ، وشرعية وجوداً وفكراً ، وكياناً ، يوم نقتطف من هذا أعظم الثمار .

\* \* \* \*